

الفصل الثالث
بين الغرباء والفرقة
الناجية والطائفة
المنصورة

الفصل الثالث

بين الغرباء، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة

مَنْ هُمُ الْغُرَبَاءُ الْمَقْصُودُونَ فِي الْحَدِيثِ؟

المقصود من هذا الفصل التكميلي ربط موضوع الغرباء وصفاتهم، بالفرقة الناجية، بالطائفة المنصورة، وبيان إن كان تَمَّةً أوجه اختلاف بين هذه المسميات الثلاثة.

فحين نتأمل أحاديث الغربة⁽¹⁾؛ نجد أن أكثر الصفات التي وُصف بها الغرباء إنما وردت من طرق ضعيفة لا تثبت.

إنما ثبت وصف الغرباء بالصلاح إذا فسد الناس⁽²⁾.

وهذه الاستقامة هي سرُّ غربتهم بين الناس، وإنما كانوا غرباء لقلَّتْهم في وسط كثرة منحرفة من أهل السوء؛ ولذلك جاء وصفهم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بأنهم: "أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم"⁽³⁾.

والمعنى: أنهم أناس صالحون قليل.
وهذه الصفة مفهومة من وصف (الغرباء)
الذين ارتبطت غربتهم بغربة الإسلام.
فالغرباء الأولون هم كما قال البيهقي:
"المهاجرون الذين هجروا أوطانهم في الله عز
وجل"⁽⁴⁾.
وليست غربتهم لأنهم في وطن غير وطنهم،
أو بين قوم غير قومهم - فحسب-؛ بل غربتهم
الأساسية لقلة المسلمين في ذلك الزمان.
وكذلك الحال بالنسبة للغرباء حين عودة
الإسلام غريبًا:
أ- فهم المسلمون بين الكفار، حيث عددهم
بالنسبة إليهم قليل.
ب- وكذلك هم الملتزمون بالشرع والسنة
بين المسلمين.
ج- وهم كذلك الداعون إلى ذلك بين سائر
المتبعين للسنة.

وهذان الصنفان من الغرباء - أعني:
الملتزمين بالسنة بين المسلمين، والداعين إليها
من بين الملتزمين بها - لم يكونا موجودين في
غربة الإسلام الأولى؛ لأن الناس كانوا حينئذ - في
الأعم الأغلب - إما مؤمنٌ موحدٌ متبعٌ مجتهد في
دينه، وإما كافرٌ محاربٌ للدين معلى للعداوة.

لكن بعد ما وجد الإسلام، وضرب بجرانه في
الأرض، واستقرَّ أمرُه؛ بدأت الفتن، والأهواء،
والاختلافات، تدب بين المسلمين، حتى تفرقوا
شيئًا وأحزابًا، واختلفوا اختلاقًا عظيمًا، فصار
الملتزمون للنهج الأول غرباء بين غيرهم من
المسلمين، وهؤلاء هم الفرقة الناجية.

وبذلك يظهر ارتباط الغربة بالفرقة الناجية.

وفى ذلك يقول الإمام
الأجـر
ي: "وقوله صلى الله عليه وسلم: **وسيعود
غريبًا**؛ معناه -والله أعلم-: أن الأهواء
المضـ
ة تكـ
ثير،
فيض
بها كثير من الناس، ويبقى أهل الحق -الذين هم
على شريعة الإسلام- غرباء في الناس، ألم تسمع
إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"تفترق
أمّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في
النار إلا واحدة"**. قيل: من هي الناجية؟ قال:
"ما أنا عليه وأصحابي" (5).

ولما روى الخطيب البغدادي رحمه الله
حديث ابن مسعود في الغرباء؛ قال: "قال
عبدان (6): هم أصحاب الحديث الأوائل" (7).

وإذا كان الحديث عامًّا غير مخصص؛ فإننا لا نستطيع أن نقول: إن الفرقة الناجية هم -وحدهم- الغرباء، ولكنهم من الغرباء، خاصة وأن الحديث ربط البدء بالعودة، فقال: "بدأ... وسيعود"، فَعُلم أن غربة المسلمين كافة بين أهل الملل والأديان داخلة -أيضًا- في معنى الحديث.

أما الطائفة المنصورة؛ فيبدو ارتباط موضوعها بموضوع الغربة، من وصف عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما للغرباء بأنهم: "الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع عيسى بن مريم" (8).

وإذا كان من المعلوم أن آخر الطائفة المنصورة يقاتلون المسيح الدَّجَّال -أي: مع عيسى عليه السلام (9)-؛ ظهرت مناسبة بعثهم يوم القيامة مع عيسى عليه السلام.

فالطائفة المنصورة غريبة في

ال

دنيا المائجة بالكفر البواح، وغريبة بين المسلمين الذين أكلتهم الأهواء والفتن؛ بل وغريبة داخل الفرقة الناجية التي لم يتصد

جميع أفرادها للإصلاح، ومقاومة عوامل الهدم والفساد في واقع الأمة.

وبهذا يظهر أن تمة غربة عامة للمسلمين، وغربة خاصة للفرقة الناجية، وغربة أخص منها للطائفة المنصورة.

وها هنا يثور سؤال: وهل تمة فرق بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية؟

وهل يمكن تصوُّر وجود تغاير بينهما؟

أو يسبق إلى الوهم أن تكون هذه غير تلك؟

هذا ما يجب عليه العنوان التالي:

هل بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة تغاير؟

إن خصائص الفرقة الناجية التي تقدم
بيانها تتلخص في ثلاثة جوانب هي:

1- العلم والفقہ الصحيح، المبنيُّ على
الوحي، سواء في مجال العقيدة، أو الشريعة،
بحيث لا يكون لهم مع النصِّ رأيٌ ولا اختيار.

2 و3- تكيُّف الشعور والوجدان والعمل
والترك مع هذا العلم الصحيح، فالحب والبغض،
والولاء والبراء، والقرب والبعد، والأخذ والترك،
والعطاء والمنع، والإقدام والإحجام، وسائر
الأعمال القلبية أو اللسانية أو البدنية؛ لا يخرج
شيء من ذلك كله عما يقتضيه هذا العلم.

ولهذه الخصائص آثار عظيمة في حياتهم
الفردية والجماعية.

منها أنهم يكونون أبعد الناس عن الاختلاف والفرقة، وأقربهم إلى الوحدة والألفة، إذ إنهم يعتمدون على الوحي والنص، ويسلمون جميعهم لذلك، بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع ممن يحكمون عقولهم أو أهواءهم في النصوص، ويحرفونها عن مواضعها، فيقعون في الاختلاف العظيم، إذ العقول والأهواء لا تنضبط ولا تتناهى.

ومنها رأفتهم بالمخالف، وحرصهم على هدايته، وتحاشيهم من إطلاق ألفاظ التكفير على مخالفينهم؛ ما لم يروا كُفْرًا بواحد صراحًا عندهم من الله فيه برهان؛ بخلاف أهل البدع الذين يكفّر بعضهم بعضًا لأدنى اختلاف، ويكفرون أهل الأتباع والحق والسنة.

أما خصائص الطائفة المنصورة؛
فكانت:

1- أنها ملتزمة بالحق، مستقيمة على الدين الصحيح، سائرة على السنة.

2- أنها قائمة بأمر الله، وذلك بنشر السنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد.

3- أنها مجددة للأمة ما اندرس من أمر دينها.

4- أنها ظاهرة إلى قيام الساعة بكل معاني الظهور، فهي ظاهرة غير مستترة، ثابتة على دينها ومنهجها، غالبية بالحجة والبرهان، منصوره على العدو- في غالب الأحيان- وإن صاحب ذلك لأواء، وإن تخلّ كفته هزيمة عارضة.

5- أنها صابرة على الحق الذي التزمته واعتصمت به، لا يضربها من كادها، ولا من خالفها، ولا من ناوأها، حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك.

وبتأمل هذه الخصائص يبدو أن الخاصية الأولى داخله في خصائص الفرقة الناجية، ولذلك؛ فالطائفة المنصورة هي من الفرقة الناجية بلا شك، وهذا مما لا يحتاج إلى بيان.

أما بقیة الخصائص؛ فقد وردت معانيها في أحاديث الطائفة المنصورة مقرونة بوصفها بالمنصورة أو الظاهرة؛ كما تقدّم، وبين هذه الصفات وبين النصر والظهور علاقة وثيقة، إذ هي صفات متعدّية، تتعلق بالدعوة، ومقارعة الظالمين، وقاتل الكافرين، وحرب المبتدعين. وهم في معرکتهم تلك محتاجون إلى النصر، والظهور، والتأييد.

ولا شكّ أن للفرقة الناجية من ذلك قدر يحقّق لها وصف (النجاة)؛ كما قال الله عزّ وجلّ: **(قَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)**⁽¹⁰⁾.

فالنّجاة من نصيب الأمرين الناهين.

وقد يكون من بينهم من لا يطبق شيئاً من ذلك، فيؤثر العزلة والسلامة، فهو حينئذ ناج وليس بمنصور.

ولكن ثمة فرقٌ كبير بين أن يكون للفرد أو الفئة قدرٌ من الصفة، وبين أن تكون هذه الصفة هي حاله، وشأنه، وأبرز خصيصة له، وهو فيها فارسُ الميدان.

ولذلك؛ فإن من الظاهر أن الطائفة المنصورة هي طائفة من الفرقة الناجية، ولا يلزم أن تكون جميعها.

ومما يؤكّد هذا أن ذكر الفرقة الناجية جاء بمناسبة ذكر افتراق الأمة واختلافها في دينها؛ ولهذا؛ فالغالب -في أوصافهم- ذكر السلامة من البدع، والاستقامة على السنن، وتجنب الأهواء، وإن لم يكونوا بمعزل عن الدعوة، ونشر السنة، والأمر والنهي.

أما ذكر الطائفة المنصورة؛ فقد اقترن به الحديث عن القتال، وقهر الأعداء، ومواجهة المكذّبين والمخالفين والمناوئين.

واقترن به ذكر القيام لحفظ الدين، وحمائته، بلفظ المبالغة: (قَوَّامَةٌ).

واقترن به ذكر اللأواء -وهي الجهد والمشقة- التي يجدها المجاهد في طريقه.

واقترن به ذكر الجهاد، وبقائه، واستمراره إلى قيام الساعة -إلى أن يأتي أمر الله-، وحتى يقاتل آخر هذه الطائفة المسيح الدجال.

واقترن به ذكر الخيل التي عُقد في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهي رمز للجهاد في سبيل الله، ولا يعني هذا أن الحديث ليس على الحقيقة؛ بل إنه يدل بظاهره -مع هذا- على أن الناس سيعودون إلى الحرب بالسلح القديم، ويحتاجون في حربهم إلى الخيل، وإلى ما شاكلها من الوسائل، وأن الملاحم الكبرى التي تسبق الساعة إنما تكون بالسيوف والخيول ونحوها؛ كما في حديث أبي هريرة وغيره في ذكر الملاحم⁽¹¹⁾.

كما اقترن به ذكر الأقوام الذين يُزيغ الله قلوبهم، فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم.

وهذا يبيِّنُ أنَّ ثَمَّةَ فرقًا بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وأن الطائفة المنصورة تأخذ بالجد والعزيمة، في حين تأخذ بقيَّة الفرقة الناجية بالرخصة، وأن الطائفة المنصورة تقوم بفروض كفاية؛ في الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وإقامة الحجة على العالمين، وحينئذ لا يكون من اشتغل بغير هذه الفروض، من التعبد، أو طلب الحلال، أو غير ذلك، مقصِّرًا ملومًا؛ إلا حين يُحتاج إليه في مؤازرة تلك الطائفة ودعمها، ولكنَّه لا يكون من هذه الطائفة؛ لأن كلمة (طائفة) تدلُّ بمعناها اللغوي على أن هذه الفئة أطافت بشيء واحتمعت حوله، وما هذا الشيء إلا القوامة على الحق، والسهر على حفظة وحمائته، والذب عنه، إذ إن تعليق أحكامها على وصف معيَّن لا بدَّ أن يكون مرادًا مقصودًا، والرسول ﷺ لم يصفهم بالنجاة فحسب؛ بل لم يرد وصفهم بالنجاة ألبتة في أحاديث الطائفة المنصورة السابقة، وإنما وُصِفوا بذلك في أحاديث الفرقة الناجية.

أما في أحاديث الطائفة المنصورة؛ فوصفوا
بوصف أعلى من ذلك، وهو وصف الظهور،
والنصر، والغلبة، والثبات، وملازمة الحق،
والقتال دونه، وما أشبه ذلك.

فهم (بعض) الفرقة الناجية من
المتحمّ

سين للدعوة على بصيرة، الباذلين حياتهم
وأوقاتهم في سبيل الله، الصابرين على ما يلقونه
من الأذى في هذا الطريق.

ومن أعظم البراهين والأدلة على ذلك أن كل مسلم من أول الدنيا إلى قيام الساعة واجبٌ عليه شرعًا أن يكون من (الفرقة الناجية)،

مَحْرَمٌ عَلَيْهِ شَرْعًا أَنْ

يَتَّبِعَ الْأَهْوَاءَ الْمَتَفَرَّةَ

قِيَامَ، وَالشَّيْبَعِ

الضَّالَّةَ الْمُنْحَرِفَةَ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا

شَكَّ فِيهِ.

وليس كذلك الأمر بالنسبة للطائفة المنصورة، إذ إنها (طائفة) من الأمة تدوم على القيام بفروض الكفاية؛ من الأمر، والنهي، والجهاد، ونشر العلم والسنة، وهذه من فروض الكفايات التي قد يقوم بها (طائفة)، فتسقط عن الباقيين.

ويظهـر هـذا وهـذا

جَلِيٍّ

عند تأمل قوله تعالى: (يَا

أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا

الَّذِينَ

ذِينَ آمَنُوا

الَّذِينَ

وَاللَّائِمِينَ

الَّذِينَ

بِأَقْبَابِهِمْ

الَّذِينَ

وَلَا يَخْفَىٰ

الَّذِينَ

وَتُنَادُوا

الَّذِينَ

إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْتَلْمُونَ ۖ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

تَفَرَّقُوا

فُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ

أَعْدَاءً

فَأَلَّفَ

بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَقَا حُفْرَةٍ مِّنَ
الدَّ
بَارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ
لِلنَّاسِ اللّٰهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّ
كُمْ تَهْتَدُونَ ۖ وَلِتَكُن مِّنكُمْ
أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ (12)

فبعد الأمر بتقوى الله وملازمة طاعته، ذَكَرَ الخصائص التي يلزم كل مسلم التحقُّق بها، ويكون مَنْ خرج عنها أو أخلَّ بها خارجًا عن مسمَى الفرقة الناجية، ولو كان باقياً على الإسلام، وهي الاعتصام بحبل الله، والتمسُّك بشريعته، وملازمة جماعة المسلمين، وترك التفرُّق، والاجتماع على العقيدة التي أَلَّفَ اللهُ بها بين قلوب المؤمنين، فأصبحوا بنعمته إخوانًا، والتي أنقذهم بها من النار.

وجاءت الأوامر السابقة كلها خطابًا للأمة
كافة: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...)**، والمقصود كل
فرد من هذه الأمة، فلا بد له من المتزام ذلك؛
ليكون من المسلمين، ومن الفرقة الناجية.

ثُمَّ

ثُمَّ

سَيُذَكَّرُ بِبَعْضِ الْخِصَائِصِ الْمُتَعَلِّفَةِ بِالطَّائِفَةِ
المنصورة،

فَتَغْيِي

سِرَّ أَسْلُوبِ الْخُطَابِ مِنْ مَخَاطِبَةِ
الكاؤ

ة بما يجب على كل فرد منهم، إلى مخاطبتهم
بما يجب أن يقوم به (أمة) أو (طائفة)، فقال:

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ

أُمَّ

ةٌ يَدْعُونَ...).

فبيّن أن الواجب أن يوجد في المسلمين
(أمة) يتولّون مهمة الدعوة، والأمر، والنهي،
ووعده هؤلاء بالفلاح، الذي هو حصول المطلوب،
والنجاة من المرهوب، في العاجل والآجل.

وقد جاء عن الضَّحَّاك⁽¹³⁾ في تفسير المراد بالأمة في هذه الآية أنه قال: "هم خاصة أصحاب رسول الله، وهم خاصة الرواة"⁽¹⁴⁾.

وقد بَوَّب البخاري رحمه الله في "صحيحه":
"باب: قول الله تعالى: **(وَكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)**، وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم"⁽¹⁵⁾.

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذه الترجمة: "والوسط: العدل... لأن أهل الجهل ليسوا عُدولاً، وكذلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور: أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي، ومَن سواهم، ولو نسب إلى العلم؛ فهي نسبة صورية، لا حقيقية"⁽¹⁶⁾.

وقد ساق البخاري رحمه الله هذه الآية
(وَكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّ

ةً وَسَطًا) في كتاب "خلق أفعال العباد"، ثم قال:
"هم الطائفة التي قال النبي ﷺ: "لا
تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق،
لا

يضُرُّهم مَن خذلهم" (17).

وكان هذه الأقوال تومئ إلى أن الصحابة
-وهم أفضل هذه الأمة- قد استجمعوا الفضل من
أطرافه، فصاروا (مثلاً) لكل خير، أما بعدهم؛ فإن
الفضل
تفرُّ

قت في أصناف شتى من هذه الأمة، وصار خلفاء
الصحابة فيهم هم القائمون بحمل العلم
الشرعي؛ من رواية الحديث، والسنة، وحفظها
على الأمة، وكذلك القائمون بالجهاد، والأمر
بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحوهم؛ ممن
يحفظ مصالح المسلمين العامة، ويتعاهدها،
ويتصدى لها.

فالأمة الوسط الشاهدة على الناس، هم
الجماعة الذين يجب
أز

بإعهم، وهم أهل العلم، وهم أهل السنة والجماعة،
وهم الطائفة المنصورة، وهم خاصة أصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم ثم من سار على دربه م،
والتزم ما كانوا عليه: اعتقادًا، وقولًا، وفعلاً، وهم
(أمة) من الأمة؛ كما يومئ إليه كلام الأئمة.

فبان بهذا أنه يجب أن يوجد (من) المسلمین
جماعة أو طائفة تتولى القيام على قضايا الأمة
-عامة-، وتقوم فيها بفرض الكفاية، وهذه الطائفة
هي (الطائفة المنصورة)، ونصرها معنى من
معاني (الفلاح) الذي وعدّها الله به.

والفرقة الناجية؛ بل المسلمون كافة، يجب
أن يكونوا عونًا لهذه الطائفة في أداء مهمتها،
والقيام بواجبها؛ لأنها تتحمل عنهم مسؤولية
ضخمة تنوء بحملها الجبال الراسيات.

وبهذا يتَّضح الفرق بين (الفرقة الناجية) و(الطائفة المنصورة)، وأن الطائفة المنصورة (جزء) من الفرقة الناجية، ولا يلزم أن تكون جميعها.

وقد يمكن أن يكون هذا الجزء (الطائفة المنصورة) ليس أفضل من غيره من (أجزاء) الفرقة الناجية من كل وجه؛ بل هو أفضل في تحقيق النصر لهذا الدين، والقيام بالحق، ولو كان مفضولاً في جوانب أخرى، فقد يكون في الفرقة الناجية من آثار العزلة للتعبد

د

والتنس
ك،

وظ
ن
هذا فرضه، فصار أفضل في هذا الجانب، ولكنه مفضولٌ في الجانب الأهم المتعلق بإصلاح الأمة.

وقد كان جمع من الصحابة والتابعين يعدُّون معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومن معه من أهل الشام هم الطائفة المنصورة؛ لأنهم بالشام، ولأن النصر تحقَّق لهم، فصاروا منصورين، وصارت الدولة بأيديهم، وحقق الله بهم للدين فتحًا عظيمًا.

وقد قال معاوية رضي الله عنه: "وإني لأرجو أن تكونوا هم -يا أهل الشام-"⁽¹⁸⁾.

وعقَّب مالك بن يخامر على رواية معاوية للحديث -وهو يخطب- بقوله: "سمعتُ معاذًا يقول: وهم بالشام"⁽¹⁹⁾؛ يعني: أهل تلك الطائفة.

وهذا يدل على أنه يرى الرأي نفسه.

وهذا ممكن، وإن كان علي رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "يكون في أمّتي فرقتان، فيخرج من بينهما مارقَةٌ يلي قتلهم أولاهم بالحق"⁽²⁰⁾.

ولكن ليس ثمة ما يمنع أن يكون النصر حليف فئة من الفرقة الناجية؛ لأنها أجمع لخصائص النصر، وأقدر على حفظ الدولة، أو لأي حكمة أخرى يعلمها الله، ولو كانت هذه الفئة مفضولة في الجملة، ويوجد من هو أقرب إلى الحق منها من بعض الوجوه.

يقول الشيخ الإمام ابن تيمية في الجمع بين نصوص تفضيل أهل الشام وبين نصوص تفضيل علي رضي الله عنه ومن معه: "أما قوله صلى الله عليه وسلم: **"لا يزال أهل الغرب ظاهرين"** ونحو ذلك مما يدلُّ على ظهور أهل الشام وانتصارهم؛ فهكذا وقع، وهذا هو الأمر؛ فإنهم ما زالوا ظاهرين منتصرين.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: **"لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله..."**، ومَن هو ظاهر؛ فلا يُقتضى ألا يكون فيهم مَن فيه بغيٌّ، ومَن غيرُه أولى بالحق منهم؛ بل فيهم هذا وهذا.

وأما قوله: "تقتلهم أولى الطائفتين بالحق"؛ فهذا دليل على أن عليًّا ومن معه كان أولى بالحق إذ ذاك من الطائفة الأخرى، وإذا كان الشخص أو الطائفة مرجوحًا في بعض الأحوال؛ لم يمنع أن يكون قائمًا بأمر الله، وأن يكون ظاهرًا بالقيام بأمر الله عن طاعة الله ورسوله، وقد يكون الفعل طاعة، وغيره أطوع منه.

وأما كون بعضهم باغيًا في بعض الأوقات، مع كون بغيه خطأ مغفورًا، أو ذنبًا مغفورًا؛ فهذا -أيضًا- لا يمنع ما شهدت به النصوص، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن جملة أهل الشام وعظمتهم، ولا ريب أن جملتهم كانوا أرجح في عموم الأحوال... "(21).

وبهذا يظهر أن الطائفة المنصورة ليست اسمًا مرادفًا -باستمرار- للفرقة الناجية؛ بل إن مسمى الفرقة الناجية أعمُّ وأوسع، والداخلون فيه أكثر.

والأصل -والله أعلم- أن الطائفة المنصورة أولى بالحق من جملة الوجوه، وإنما ينصر الله من ينصره.

ولكن؛ قد يوجد في الناس من الجهل، والظلم، والهوى، ما يجعل ولاية الأكمل عليهم متعذرة، أو شبه متعذرة؛ لبعد ما بينهم وبينه، فيكون من حفظ الله لدينه، وأمته، وسنة نبيه: أن يولي عليهم من يكون أقدر على سياستهم، وجمع كلمتهم، وإن لم يكن هو الأكمل من جميع الوجوه، لكنه هو الملائم لحالهم.

وبهذا التقرير توضح علاقة هذه المسميات الثلاثة بعضها ببعض: الغرباء، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة⁽²²⁾.

وهكذا

يُضح أن الخيرية تنحصر في ثلاث دوائر بعضها أضيق من بعض:

■ فالدائرة الواسعة دائرة الإسلام، التي تشمل كل من نطق بالشهادتين، وأقام الصلاة، ولم يأت مُكفِّراً يحكم له بموجبه بالخروج من الملة، مهما ارتكب من المعاصي، ومهما تلبس به من البدع.

وأهل هذه الدائرة هم أهل الجنة الذين يدخلونها، وإن عُذِّبُوا بما اقترفوا من المعاصي، أو وقعوا فيه من البدع.

ومن لم يكن من أهلها؛ فالجَنَّةُ عليه حرام؛ لقوله تعالى: **(إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)** (23).

وقوله: **(وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)** (24).

وقال صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى -: **"يا إبراهيم! إني حرَّمت الجنة على الكافرين"** (25).

وقال صلى الله عليه وسلم: **"إن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة"** (26).

■ والدائرة الثانية: دائرة الفرقة الناجية داخل الأمة المسلمة، وهي تشمل من سلموا من مقارفة البدع الغليظة التي يخرجون بها عن السَّمْتِ والهدى الأول الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وسلموا من الارتكاس في الشهوات المهلكة المردية المتي يخرجون فيها عن دائرة العدالة والاستقامة إلى دائرة الفسق والانحراف، بحيث يجتمعون على ذلك، ويوالون فيه، ويعادون فيه؛ بل ولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين.

■ والدائرة الثالثة، وهي أضيق الدوائر، هي دائرة الطائفة المنصورة داخل الفرقة الناجية، والتي حملت على كاهلها عبء الدُّود عن الحياض، وحماية البيضة، ورفع راية الحق، والقتال دونها.

وهؤلاء هم خير الأمة، وأفضلها، وأثقلها حملاً، وأعظمها منزلة، وبهم يندفع عنها العذاب والنقم، وبزوالهم ينتهي الإسلام، وتقوم الساعة؛ كما سبق تفصيله.

وهذا ينسجم مع القسمة الثلاثية في قوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۚ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۚ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَتَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) (27).

قال ابن عباس: "هم أمة محمد ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ، ورثهم الله كل كتاب أنزل، فظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب" (28).

وجاء نحو ذلك عن عائشة، وابن مسعود، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، والبراء بن عازب، وكعب الأحبار، وعبيد بن عمير، وغيرهم من علماء الصحابة والتابعين (29).

فالظالم لنفسه يدخل فيه المسرف
بالمعاصي كما يدخل فيه المبتدع الذي لم
تخرجه بدعته عن دائرة الإسلام.

والمقتصد هو الملتزم بالنهج المجانب
للبدعة والمعصية؛ دون أن يكون له مزيد فضل؛
بجهاد، أو إصلاح، أو كلمة حق عند سلطان جائر.
والسابق بالخيرات هو المشمّر للخير؛ دعوة،
وبذلاً، واحتساباً، ومصابرةً، ومرابطةً... وذلك هو
الفضل الكبير.

* * *

الخاتمة

وفي نهاية هذا المطاف أرجو أن يكون أتضح في ذهن القارئ الكريم عدد من النتائج المهمة، والتي تتلخص فيما يلي:

أولاً: ثبوت حديث الفرقة الناجية، ومعرفة أهم خصائصها، وأي الطوائف الإسلامية تستحق أن توصف بذلك؟

ثانياً: ثبوت حديث الطائفة المنصورة؛ بل وتواتره، ومعرفة خصائص هذه الطائفة، ومهماتهما.

ثالثاً: التمييز بين (الفرقة الناجية)، و(الطائفة المنصورة)، وأن بين الاسمين تباين من بعض الوجوه.

فالفرقة الناجية هي المجانبة لأهل الزيغ
والبدع، الملتزمة بالسمت الأول الذي كان عليه
النبي ﷺ وأصحابه، وقد يكون من
بين أفرادها عامة لا نصيب لهم يُذكر في العلم،
ومشتغلون بالدنيا في طلب الرزق الحلال لهم
ولمن تحت أيديهم، وقد يكون من بين أفرادها قومٌ
ظنُّوا

وا

أن

العزلة في حقهم أولى، فاعتزلوا المجتمع؛ لا
يأمرون، ولا ينهون، ولا يقارعون الباطل باجتهدهم.
أما الطائفة المنصورة؛ فإنما وصفت
بـ(المنصورة)؛ لأنها المجاهدة،
وهذه من أخص خصائصها: أنها تنازل المنكر،
والبدعة، والكفر، والانحراف -بجميع صوره
وأشكاله-، وتحاربه، فهي المرابطة على الثغور،
القائمة بفروض الكفايات الكبرى عن هذه الأمة.
فهي أقل عددًا، ولكنها أقوى عددًا، وأعظم بلاءً
ونفعًا، وأنكى في العدو.

وتقف الفرقة الناجية في دائرتها الواسعة،
ثم الأمة المسلمة كلها في إطارها الكبير، ردًا
للطائفة المنصورة، وعاونًا لها.

وهذا يبيِّن أهميَّة ظهور هذه الطائفة؛ لئلا يلتبس أمرها على الناس، فربما استطاع العدو أن يشوِّه صورتها، ويحول بين الأمة وبينها، حتى ترتدَّ رماح الأمة إلى صدورها، وهذا مع الأسف يحدث كثيرًا.

فمن أعظم ميادين جهاد هذه الطائفة: العمل على الالتحام بهذه الأمة، والتواصل معها، ورعاية مصالحها العامة - كما سيجيء تفصيلاً إن شاء الله - في الرسالة الثالثة، وفي موضوعي (الجهاد)، و (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

رابعًا: أن وصف (الغربة) يشمل ثلاث دوائر:

■ الأولى: الدائرة الكبرى، دائرة المسلمين، فهم غرباء بين أمم الأرض الكافرة، التي لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا تحرم ما حرم الله ورسوله، ولا تدين دين الحق.

■ الثانية: دائرة أضيق منها، دائرة الفرقة الناجية، فهي غريبة في وسط هذه الأمة التي اجتاحتها الأهواء، ولعبت بوحدتها النزعات والنزعات، فصارت كما قيل:

وَتَفَرَّقُوا شَيْعًا كُلُّ قَبِيلَةٍ

فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَمُنْبَرٌ

■ الثالثة: وهي أضيّق الدوائر، غربة
الطائفة المنصورة، وهي فئة قليلة بالقياس إلى
الأمّة؛ بل وحتى بالقياس إلى (الفرقة الناجية).

جعلنا الله جميعًا من المسلمين الناجين
المنصورين بمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

والحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله

نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش الفصل الثالث

(1)¹ سبق تخريجها في التمهيد.

(2)² من حديث سعد، وجابر، وسهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهم.

(3)³ سبق تخريجه.

(4)⁴ "الزهد الكبير" (ص 151).

(5)⁵ "الغرباء" (ص 24).

(6)⁶ هو: عبد الله بن عثمان بن جبلة الأزدي العتكي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي الحافظ، وعبدان لقبه، وكان إمام أهل الحديث ببلده، وهو ثقة مأمون، ولد سنة (140هـ)، وتوفي سنة (221هـ).
انظر: "التهذيب" (5/313).

(7)⁷ "شرف أصحاب الحديث": 6- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريبًا..." (ص 24).

(8)⁸ سبق تخريجه.

(9)⁹ كما سبق تفصيله في الفصل المتعلق بالطائفة المنصورة في هذا الكتاب.

(10)¹⁰ الأعراف: 165.

(11)¹¹ سبق تخريج حديث أبي هريرة، وفيه: "فيفتحوون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان..." الحديث.

- وفي حديث ابن مسعود عند مسلم وغيره - أيضًا - في ذكر الملحمة الكبرى، وفيه بعد ذكر الصريح: "فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ".

- مسلم: 52- كتاب الفتن وأشرط الساعة، 11- باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، برقم (37)، (4/2223).
- ولا شك أن الأصل في هذه العبارات الحقيقة، وهكذا فهمها المخاطبون؛ لأن هذه معانيها في اللغة التي يعرفونها، والتي نزل بها القرآن، وجاء بها الشرع.

ونقلها عن حقيقتها إلى معنى مجازي هو خلاف الأصل.

¹²(12) آل عمران: 102-104.

¹³(13) ابن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني، المفسر، المؤدّب، أخذ التفسير عن سعيد بن جبير، وثقه أحمد، وابن معين، وأبو زرعة، وضعفه يحيى القطان، وابن عدي، توفي سنة (105هـ).

"الميزان" (2/325)، و"طبقات المفسرين للداودي" (1/222).

¹⁴(14) "تفسير الطبري" (4/38).

¹⁵(15) "صحيح البخاري" (8/156).

¹⁶(16) "فتح الباري" (13/316).

¹⁷(17) "خلق أفعال العباد" (ص 42).

¹⁸(18) سبق مرارًا.

¹⁹(19) سبق مرارًا.

²⁰(20) رواه مسلم في: 12- كتاب الزكاة، 47- باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (151)، وبرقم (149 و150 و152 و153)، (2/745).

- وأبو داود في: 34- كتاب السنة، 13- باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، برقم (4667)، (5/50).

²¹(21) "الفتاوى" (4/447-448)، وانظر ما قبلها وما بعدها.

22(22) وقد سبق الحديث عن غربة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فيما مضى.

23(23) المائدة: 72.

24(24) آل عمران: 85.

25(25) رواه البخاري.

26(26) رواه مسلم.

27(27) فاطر: 32-35.

28(28) رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي.

وانظر: "الدر المنثور" (7/23).

29(29) انظر تفصيل رواياتهم في "الدر المنثور"، الموضع السابق.